المحاضرة التاسعة: تطبيقات الحجاج في القرآن الكريم

إن الخطاب القرآني خطاب لغوي بلاغي وحجاجي قائم على مبدأ الربط العلائقي بين أجزائه، فهو خطاب متماسك ومنسجم في جميع علاقاته اللغوية والنحوية والبلاغية والدلالية، ولهذا وجب علينا النظر في علاقاته الحجاجية، بين مختلف الحجج من جهة، والنتائج لتي يدعو إليها ويقود إليها المتلقي من جهة أخرى.[1]

أولا-خصائص الحجاج في الخطاب القرآني:

يمتاز الحجاج في الخطاب القرآني بمجموعة من الخصائص أهمها:[2]

1-متانة وإحكام الحجج: فالحجج في القرآن الكريم حجج محكمة لا يمكن تفنيدها أو الاعتراض عليها، لأنها حجج داحضة مكتملة.

2-إعجاز القرآن الكريم: وذلك أنه جمع على ضروب الحجاج التي سعت إلى التأثير في النفس واستمالة العقل.

3-مخاطبة كافة الناس حسب مداركهم: إذ لم يكتفي بمخاطبة جماعة دون أخرى وإنما خاطب كل الناس على اختلاف مشاربهم ومستوياتهم.

---

[1] سامية الدريدي، الحجاج في الشهر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، ص317.

[2] أحلام عبد العزيز الوصيفر، عزة محمد جدوع، الحجاج في القرآن الكريم (سورة الحج نموذجا)، مجلة البحث العلمي في الآداب، ع19، ج11ن 2018، ص 251، 252.

4-مخاطبة العقل والعاطفة والحس: إذ جمع القرآن بين حجج تخاطب العقل، وحجج تخاطب العاطفة وأخرى تخاطب الحس، وذلك أن الناس تتفاوت في ذلك، فكان الخطاب يقتضي لكل قسم ما يناسبه.

ثانيا-العلاقات الحجاجية في الخطاب القرآني:

يمكننا أن نتمثل لهذه العلاقات على النحو التالي:

1-الاستنتاج:

من ذلك قوله تعالى في سورة الأعلى: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى

هذه الآية هي نتيجة لما سيأتي من بعدها، إنه الهدف من الحجج التي ستأتي من بعده، وهذا من بلاغة القرآن الكريم حيث قدم النتيجة على الحجج، وتتمثل الحجج في قوله تعالى:

1. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى
2. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى
3. وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى

نلاحظ من خلال هذه الآيات الثلاثة أنها حجج تخدم نتيجة واحدة وتوصل القارئ إليها. ويمكن أن نصل إلى ذلك من خلا إدراج روابط حجاجية كفاء السبب أو إذن وكي التعليلية.

ونمثل لذلك على النحو التالي:[3]

أ-سبح اسمك ربك الأعلى لأنه هو الذي خلق فسوى وقدر فهدى...

ب-إن ربك خلق فسوى وقدر فهدى فسبحه.

ج-إن ربك خلق فسوى وقدر فهدى إذن سبحه.

د-إن ربك خلق فسوى وقدر فهدى كي تسبحه.

ورغم تنوع الروابط الحجاجية الداخلة على النص الأصلي لم تتغير النتيجة وذلك لأن السياق الحجاجي إنما جاء من أجل تساوق هذه الحجج خدمة لنتيجة واحدة.

2-الاستدلال

قال تعالى: "**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا**"

إن هذه الآية الكريمة تحمل قيمة حجاجية من خلال أسلوبية الاستدلال وقد جرت على مقدمات لم تذكر مع نتائج، ويمكن فهم ذلك على النحو التالي:

م ك: الله أحياك بعد موتك.

---

[3] أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص21.

م ص: الذي أحياك بعد موتك قادر على بعث هذه القرية.

ن: إذن الله يحي الناس بعد موتهم.

إننا نلاحظ من خلال الآية أن فعل الموت في ظاهره لا علاقة له بسؤال السائل، ولكنه فعل يوصله إلى إجاب يقينية بعد إعادته للحياة، فقد كانت النتيجة مضمرة تحتاج إلى استنتاج من خلال هذا الاستدلال الاستباطي.

3-علاقة الاقتضاء:

وهي علاقة قائمة على الأداة إن ولام الابتداء تكون لدفع الإنكار، فهي تنهض بوظيفة حجاجية تتمثل في تقديم المسائل للمتلقي وفرض حقيقتها عليه، بعدها مقتضيات غير قابلة للنقاش أو المجادلة.[4] ونمثل لها بقوله تعالى:

إِنَّ السَّاعَةَ **لآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ** أَكْثَرَ **النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ** (59)

لقد أدى دخول إن على الجملة الإخبارية الابتدائية الساعة آتية والتي لم ترد بهذه الصيغة في القرآن الكريم وجه الخطاب إلى وجهة جديدة، إذ إن الجملة الابتدائية هو إخبار عن قيام الساعة يمكن دحضه ونفيه، غير أنه بعد دخول إن جعل الدحض والنفي مستحيلا.

واللام هنا يطلق عليها اللام المزحلقة تزحلقت لكراهة الابتداء بمؤكدين، وإنما جيء بها لغرض الزيادة في التأكيد، والملاحظ من الآية الكريمة أنها موجهة لمتلقي إنكاري ينكر البعث، فجاءت بمؤكدين الأول إن، والثاني اللام المزحلقة. والغرض

---

[4] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص299.

من ذلك كله التأثير في المتلقي وجعله يوقن بأن الساعة قائمة وأن الخلق سيبعثون للحساب.

4-علاقة السبب بالمسبب:

وهي أحد أبرز العلاقات التي لها تأثير كبير في المتلقي، إذ لا يكتفي المتكلم فيها على ربط الأفكار والوصل بين الأجزاء، وإنما يعمد إلى جعل بعض الأحداث سببا لأحداث أخرى.[5]

ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ، قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ يوسف الآيات 82-84

نلاحظ من الآية الكريمة أن هناك تتابع لأحداث كانت سببا لأحدث رئيسي وهو الأسف، فأسف يعقوب عليه السلام لم يكن إلا نتيجة لتراكم لأحداث سابقة ويمكن استخلاصها كالآتي:[6]

أ-الضيق الذي أصابه جراء الكلام في حق ابنه.

---

[5] بوسلاح فايزة، العلاقات الحجاجية في القصص القرآني، مجلة الحضارة الإسلامية، ع29، 2016، ص 168.

[6] المرجع نفسه، ص 169.

ب–خروج ابنه الذي قام بمصر ينتظر أمر الله.

ج–عدم تصديقهم لهم جعله يعرض عنهم متذكرا يوسف عليه السلام.

ثم نلاحظ أن هذه الأحداث المتتابعة أدت إلى مجموعة من النتائج متمثلة في:[7]

ن1: لما ضاق صدره ترجى الله أن يعيد له أولاده الثلاثة.

ن2: لما أعرض عنهم رجع إلى التأسف.

ن3: كظم الغيض من يعقوب عليه السلام بيان لحقيقة الإيمان بالله تعالى.

[7] بوسلاح فايزة، العلاقات الحجاجية في القصص القرآني، ص 169.